**"بيوت عنيا" المعاصرة**

بقلم المتروبوليت سابا (اسبر)

اضطررت إلى السفر مبكراً، قبل انعقاد المجمع الأنطاكي المقدس في تشرين الأول من العام الماضي (٢٠٢٥)، إلى لبنان لمتابعة بعض الأمور الشخصية. وهكذا تسنّت لي الفرصة لأن أقضي فترة في منسك يتبع لأحد أديرتنا هناك. كنت أنطلق منه لمتابعة ما أتيت من أجله وأعود إليه تالياً. منحتني تلك الفترة بعضاً مما كنت أحتاجه من هدوء داخلي بسبب تكثيف الصلاة والمطالعة والسير في الطبيعة.

كنت ولا أزال أشدد على أهمية الخلوات الروحية. وعلى الرغم من أن خلوتي كانت قسرية ومشوبة بمتابعة ما اضطررت إلى المجيء من أجله، إلا أنني لمست فائدتها حتى على صعيد نشاطي الروحي والجسدي.

يعرف التراث الأرثوذكسي التردد على الأديرة. والخلوات الروحية تقليدياً، كما تُمارس في العالم الأرثوذكسي، هي قضاء بضعة أيام في الدير. يتبع المؤمن خلالها برنامج الدير من حيث دورة الصلوات اليومية. بالإضافة إلى ذلك يعطيه الشيخ (رئيس) أو الشيخة (رئيسةالدير) برنامجاً شخصياً يتضمن قراءة روحية وقانون صلاة شخصية وعمل.

ولأن الأديرة غير قادرة على استقبال جميع المؤمنين، لجأت كثرة من الرعايا في السنوات الأخيرة إلى تنظيم خلوات روحية جماعية، في الأديرة أو الرعايا أو منطقة قريبة مناسبة، حيث يقضي المشتركون نهاراً أو أكثر في جو من الصلاة والقراءة والأحاديث الروحية واختبار الحياة المشتركة. تساعدهم هذه الخلوات في استعادة شيئاً من العودة إلى الذات، مما يمنحهم هدوءاً داخلياً، ويذيقهم فرح الشركة المسيحية في عائلة المسيح.

يعيش الإنسان المعاصر توتراً تزداد حدته من جراء تسارع إيقاع الحياة اليومية وضغوطها. إلى ذلك العمل الطويل والضغط الاقتصادي والمواصلات المرهقة ونمط الحياة الاستهلاكي والانشغال بهموم معاشية متكاثرة، بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة، أدى إلى إرهاق الإنسان المعاصر وتلف أعصابه وخروجه من ذاته وتشويش ذهنه وإصابته بالكآبة، التي غدت أكثر أمراض العصر انتشاراً. تفيد الإحصاءات الطبية أن الأدوية المهدئة هي الأكثر مبيعاً!!

هذا كله يحّتم على الكنيسة ألّا تكتفي بالوعظ والتعليم، وأن ترفقهما بتنشيط الخدمة الرعوية والاهتمام بالإنسان على الصعيد العام والشخصي في آن. تُعد هذه الحاجة أحد أسباب دعوتي إلى إحياء خدمة الشموسية في الأبرشية. وكنت قد دعوت في مؤتمر الأبرشية في العام ٢٠٢٣ إلى إحياء جماعات صلاة في الرعايا، وذكرت شيئاً عن بيوت الخلوات الروحية.

يحتاج إنسان اليوم إلى مساعدة الكنيسة في تنظيم خلوات روحية قصيرة أو طويلة تأخذ بعين الاعتبار اشتراك عدد لا يتجاوز العشرين، في منطقة طبيعية هادئة وقريبة من الرعية، تخفيفاً للنفقات وتشجيعاً لذوي الدخل المحدود على الاشتراك فيها. يقضي المشتركون اليوم في صلاة هادئة يشترك الجميع فيها، وينظم البرنامج بحيث يعطي المشتركين أوقاتاً للصمت والقراءة الروحية، وتأملٍ إنجيلي مشترك وحوار حول نصوص أو أقوال روحية بالإضافة إلى مسير في الطبيعة صامت برفقه صلاة يسوع.

لا تكون هذه الخلوة ضاغطة روحياً، ولا مكلفة مادياً، ولا نشاطاً مجرّد ترفيهي. فإنسان العصر المرهق عصبياً بحاجة إلى قضاء فترة نقاهة أو استجمام روحي عصبي نفسي وحتى جسدي. باتت هيئات روحانية لا دينية تنظم هكذا حلقات او دورات. لذلك فالأولى بالكنيسة أن تجعل هذه الخدمة من أولى أولوياتها، إن شئنا، ويجب أن نشاء، أن نسعى إلى خلاص البشر الذي تجسد الله من أجلهم. أليس الخلاص رسالة الكنيسة أساساً؟

يجب ألّا نكتفي بمكاتب للمراجعات الروحية والإدارية. أقول لكهنتنا دوماً لا أريدكم رجال أعمال دينية، نريد آباءً روحيين، ورعاة نفوس. علينا تغذية الإنسان المعاصر ومساعدته على تعميق حياته وعلاقته الشخصية بالله. بالمسيح فقط يجد معنى حياته وغايتها، وبه يكتشف الفرح الحقيقي الذي يصبو إليه. الكنيسة التي لا يذوق أعضاؤها فرح المسيح ونقاء السيرة واختبار المحبة والتعاضد تبقى جمعية دينية لا غير، والمسيح لم يأت إلى أرضنا ليؤسس جمعية ولو دينية. هو لم يؤسس ديناً، بل طريقة حياة. الكنيسة جسده، وجسده حي على الدوام. الكنيسة كيان حي وحيوي يمور بالحياة.

عندما كنت مطراناً لأبرشية حوران، استطعت بنعمة الله أن أقتني بيتاً في أحد أجمل مناطق سوريا، وحولته إلى بيت للخلوة، وسميته "بيت عنيا". ألم يكن المسيح يذهب

إلى بيت عنيا، إلى صديقه لعازر وأختيه ليرتاح عندهم؟ أردته مكان استجمام روحي عصبي ترفيهي لأبناء الأبرشية المتعبين من جراء الحرب الدائرة في البلد. لكنه سرعان ما صار مطلباً لكل المؤمنين من مختلف الأبرشيات. كم أتمنى لو يبادر بعض المؤمنين المقتدرين إلى إحياء بيوت خلوة (بيوت عنيا) لأبناء أبرشيتنا هنا في أميركا الشمالية.

أحلم بأن يكون لنا في المستقبل القريب بيوت خلوة في أماكن كثيرة من الأبرشية، يعودها مؤمنونا ليقضوا أيام فرح بصحبة الله وبعضهم. بذلك نشجع بعضنا على اختيار النصيب الصالح الذي لا يُنزع منّا. شجعوا بعضكم على اقتناء الأبرشية بيوت خلوة لكم ولأولادكم من بعدكم.